مجلة المنهل-المجلد: 08، العدد: 02 (2022م)-ص ص 53 - 74
ISSN :2437 - 1068 ●EISSN8392-2710

المصطـلح القـــــرآني
قراءة تأصيلية وتنزيلية على مفهوم الطاعة في القرآن الكريم

The Qur'anic term is a theoretical rooting and a application on the term "obedience" in the Holy Qur'an

عبد الباسط عبد الصمد بن الصديق (*)
مخبر تحليل الخطاب و الدراسات المعجمية والأدبية المقارنة، جامعة غرداية (الجزائر)
benseddik.abdelbassetabdessmed@yuniv-ghardaia.dz

الطاهر الإبراهيمي
مخبر تحليل الخطاب و الدراسات المعجمية و الأدبية المقارنة، جامعة غرداية (الجزائر)
Taharbi2014@gmail.com

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2021/05/27	2022/06/15	2023/01/13

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

تعتبر المصطلحات في كل علم مفتاح لها، ولابد لهذه المصطلحات من بحث معمق ومنهج صحيح يدرسها بمنهجية علمية عبر مختلف مجالات هذا المصطلح المعجمية والدلالية والفنية وقيمته الذوقية لكي يؤصل لها، إننا نضعه داخل مختبر يحلله ويفهمه من كل جوانبه، ولعل من أنجع المناهج اليوم الذي أنتج دراسة جد قيمة ونتائج نوعية فريدة من حيث الفهم الصحيح للمنهج والتأصيل، هو منهج الدراسة المصطلحية، الذي نحاول من خلاله تأصيل المصطلح القرآني الذي يظل إلى غاية اللحظة خبيء كثير من الجوانب اللغوية الرائعة والجوانب الفنية الراقية التي بقيت في مكنونات القرآن الكريم وسنطبق بعضا من جوانبها على مصطلح الطاعة لكي نستطيع أن نؤصل بعضا من جوانبه من خلال الكشف عن جوانب كثيرة فيه من علاقات وضمائم وقضايا...

الكلمات المفتاحية: المصطلح؛ الدراسة المصطلح؛ المصطلح القرآني؛ الطاعة.

Abstract :

Terminologies are meant to be the key to every science, and these terms must be thoroughly researched by a correct approach and studied in a scientific methodology across the various fields of this lexical, semantic and artistic term and its taste value in order to root it. We put it in a laboratory that analyzes and understands it in all its aspects, and perhaps one of the most effective approaches today that produced a study of great value and unique qualitative results in terms of a correct understanding of the curriculum and rooting, it is the terminological study curriculum, through which we try to root the Qur'anic term, which keeps hiding until the moment many of the wonderful linguistic aspects and high-end technical aspects that remained in the components of the Holy Qur'an and we will apply some of its aspects to the term "obedience", so

(*) المؤلف المراسل.

that we can root some of its aspects by uncovering them in terms of relationships and attachments.

Keywords: Term; idiomatic; stud; Quranic term; obedience.

1ـ مقدمة

الرهانات و التحديات التي يخوضها اليوم الباحثين والدارسين العرب في كافة مجالات اللغة العربية، فالمصطلحات هي مفاتيح العلوم، والتأصيل لعلم المصطلح ومنهج الدراسة المصطلحية يعد كشافا ومخبرا تحليليا بامتياز لمجالاتها المعجمية و الدلالية والفنية والقيمة الذوقية لأي علم، ولأنَّ الاستمرار في الدّراسات المتعمِّقة في المصطلح كفيل بضبط طبيعته، وبيان إيحاءاته الحضارية، من حيث كونه قنوات التواصل الحضاري مع التراث لمعرفة الأصول في الماضي، وتصحيح الوجود في الحاضر، وضمان الاستمرار في المستقبل، وكل ذلك من الأهمية بمكان في معترك التدافع الثقافي، إذ به يمكن إعادة إعمال ما تم من مصطلحات، أو توسيع دائرة استعمالها؛ بل يمكن تصدير بعضها إلى المجالات المختلفة من دين و سياسة و اقتصاد و ثقافة، بل مجال لغة الإعلام، وكل ما يتعلق بخطاب الرأي العام.

وإذا توسَّعت دائرة الدراسة المصطلحية في علوم القرآن، خاصة المتعلقة بدراسة المصطلح وتأصيله وفهمه فهما صحيحا وضبط منهج دراسته نحو تأصيل علمي مضبوط، فأنتجت هذه الدراسة نتائج قيمة وذات نوعية فريدة من حيث الفهم الصحيح للمنهج والتأصيل.

وننوّه بالجهود العظيمة المبذولة اليوم عبر كثير من المؤسسات العربية والمخابر العلمية للنهوض بهذا العلم المتميز (الدراسة المصطلحية) و الذي لاقى استحسانا و انتشارا واسعا بين الباحثين العرب، لما رأوا من ثمار وافرة و نتائج باهرة أعطت للغتنا العربية حقها الفعلي، وأعطت إضافة كبيرة للمصطلح القرآني في الكشف عن جمالياته و إعجازه وبيانه وتأصيله العلمي الصحيح، والإشكالية المطروحة كالآتي:

ما هي الدراسة المصطلحية وما هو منهجها؟ وما هو المصطلح القرآني؟ وما هو دورها في تأصيل المصطلح القرآني ؟ وما هي النتائج المحققة عند استخدامها كأداة ومنهج في دراسة المصطلح القرآني؟

1ـ تعريف الدراسة المصطلحية:

عرَّف الشاهد البوشيخي الدراسة المصطلحية بأنها:" ضرب من الدرس العلمي لمصطلحات مختلف العلوم وفق منهاج خاص، بهدف تبيّن وبيان المفاهيم التي عبرت أو تعبر عنها تلك المصطلحات في كل علم، في الواقع والتاريخ معا"1، وعرفتها فريدة زمرّد بأنها:" دراسة منهجية جامعة تتبيَّن مفاهيم المصطلحات من نصوصها، وتبيِّنُ المقومات الدلالية الذاتية للمصطلح، وامتداداته داخل النسيج المفهومي للنص عبر ضمائمه واشتقاقاته، والقضايا الموصولة به"2.

فالفرق واضح وجلي في أوجه التناول بين التعريفين السابقين، فالأول ركز على المادة المصطلحية ذاتها، والثاني تناولها ضمن نصوصها، أي أن الثاني أخص من الأول، فالأول يعالج المصطلح ضمن فضاء معرفي معين والثاني يعالج المصطلح في دائرة أضيق من ذلك الفضاء المعرفي وهو النص.

وتوسّع فريد الأنصاري في تعريف الدراسة المصطلحية حين عدّها بحثا "في المصطلح لمعرفة واقعه الدلالي من حيث مفهومه، وخصائصه المكونة له، وفروعه المتولدة عنه ضمن مجاله العلمي المدروس به، فهي إذن منهج للبحث في المفهوم العلمي وما يتعلق به من أعراض يمكن تطبيقه على المصطلح في أي مجال من المجلات العلمية، إلا أنها ليست بحثا (معجميا)، ولا(قاموسيا)، ولا (تأثيليا)، ولا (دلاليا)، وإن كان بينها وبين ذلك كله روابط جدلية أخذا وعطاء"3.

ولقد دعت الباحثة فريدة زمرد إلى أن تكون الدراسة المصطلحية علما قائما بذاته ولا ينطوي تحت علم الدلالة، فالتقاطعات المنهجية بين دراسات علم الدلالة و الدراسة المصطلحية تتباين و تختلف نظرا لأصولهما العامة واختلاف الأسس و المنطلقات، وهذا يدفعنا إلى نتيجتين تعتبرهما الباحثة خيارين أمام المهتمين بالدراسة المصطلحية: "الخيار الأول: أن هذه التقاطعات تدفعنا إلى تطوير الدراسة المصطلحية وإلحاقها كفرع من علم الدلالة، ولكن هذا الأمر يحول دونه عقبات و مشكلات لاختلافهما في الأصول العامة والأسس والمنطلقات هذا من جهة، ومن جهة أخرى المدارس والتيارات التي تتصارع فيها الآراء حول علم الدلالة، فلا ندري أي تيار إذا يصلح لاحتضان الدراسة المصطلحية !، الخيار الثاني : أن تكون الدراسة المصطلحية علما مستقلا بذاته، وهي تستحق ذلك لامتلاكها كل الشروط العلمية ،وشرط العلمية فيها:

موضوعها: الذي هو مصطلحات العلوم.

منهجها: الذي حدد في ستة أركان واضحة المعالم.

وغاياتها : المتمثلة في تعريف المصطلحات المدروسة وبيان خصائصها ومميزاتها.

و مصطلحاتها: التي صارت عَلما عليها"4.

وهي بذلك تستحق فعلا التميز عن علم الدلالة والاستقلالية عنه، فإذا كان علم الدلالة قد كثرت في منهجيته الآراء واختلفت المدارس وتصارعت في موضوعاته، وبالتالي فإن الرؤية فيه تكون غير دقيقة، عكس الدراسة المصطلحية فإن:" تميزها نابع من :

دقّة منهجية: اكتسبتها من أدوات الإحصاء والدراسة المعجمية والدراسة النصية وسائر الأدوات المنهجية المعتمدة فيها.

ووضوح في الرؤية : ناتج من وعي بمفتاحية المصطلحات بالنسبة للنصوص ثم بالنسبة للعلوم.

وسلامة مذهبية: بسبب ما تضمنه قواعدها من حيادية وموضوعية وبُعد عن الإسقاط و التأويل"5.

ولابد من الإشارة إلى الفرق بين علم المصطلح والمصطلحية كما يورده المسدي، فالمصطلحية :" علم يعنى بحصر كشوف الاصطلاحات بحسب كل فرع معرفيّ، فهو لذلك علم تصنيفي تقريري يعتمد الوصف والإحصاء مع السعيّ إلى التحليل التاريخي، أمّا علم المصطلح فهو تنظيري في الأساس تطبيقي في الاستثمار، لا يمكن الذهاب فيه إلاَّ بحسب تصوّر مبدئي لجملة من القضايا الدّلالية و التكوينية في الظاهرة اللغوية، فعلم المصطلح – على ما نقدّره – ينتسب سلاليا إلى علوم التأثيل، فالقاموسية فالمعجمية، ولكنه فرع جنينيّ عن علم الدّلالة وتوأم لاحق للمصطلحية بحيث يقوم منها مقام المنظّر الأصولي لقواعد النشأة والصيرورة، فبين علم المصطلح ومصطلحيّة العلم فرق مابين المعجمية و القاموسية... والإنسان منذ القدم عَلِم اللّغة قبل أن يضع للغة علما"6.

إذن فعلم المصلح هو الجانب النظري الذي يؤسس لمنهجية دراسة المصطلح، أما المصطلحية فهي تطبيق لمنهج علم المصطلح على المصطلحات بذاتها، آخذة من كل علم لغوي أو لساني من شأنه أن يقدم ولو خاصيّة واحدة تكشف عن هذا المصطلح ضمن مجاله العلمي المحدّد، فالمصطلح هو ما دلّ على مفهوم علميّ محدّد، والمصطلحية دورها الكشف عن كل ما يحيط بهذا المصطلح أفقيا و عموديا، وهي بهذا تختص بالكشف عن خصائص المصطلح من حيث مفهومه ودلالته وعلاقاته وصفاته وضمائمه وصولا إلى أهم الملاحظات والاستنتاجات عن هذا المصطلح.

كما نلاحظ أيضا أن الباحث في علم المصطلح يكفيه التركيز على الجانب النظري المنهجي التأصيلي والتأسيسي العام في مصطلحات علمٍ ما، والمصطلحية في الحقيقة لا يمكن الخوض فيها إلا من المتخصص في مصطلحات هذا العلم، ذلك "أن الدراسة المصطلحية الخاصة هي خوض في إشكالات العلم الخاص قصد إقامة الصورة الحقيقية لمفاهيم المصطلحات المدروسة به"[7]، وكذلك ف " إن المصطلحية تنطلق من (المصطلح) باعتباره موضوع الدراسة، إلى المفهوم باعتباره غاية الدراسة ،فهي إذن غوص في الدال والمدلول لتحديد أبعادها"[8].

"وخلاصة الأمر أن (الدراسة المصطلحية) التي نحن بصدد الحديث عنها، تدخل فيما سماه القاسمي بالنظرية الخاصة لعلم المصطلح أو ما سمّاه عبد السلام المسدّي بالمصطلحية... فهي إذن دراسة للقضايا الاصطلاحية خاصة المتعلقة بالمصطلح، وليس كل القضايا المتعلقة به، وإن لم تكن ذات صبغة اصطلاحية، ثم هي دراسة له باعتباره بنية في مجال علمي معين، وليس باعتباره مصطلحا وكفى! أي أنه

لا يدرس إلا باعتباره دالا على مفهوم علمي"9.

3ـ مراحل الدراسة المصطلحية:

تمرّ الدراسة المصطلحية بمراحل أساسية لا يمكن الاستغناء عن واحدة منها أو تقديم مرحلة على أخرى وأهمها:

3.1ـ الدراسة الإحصائية:

ويقصد بها: " الاستقراء التام لكل النصوص التي ورد بها المصطلح المدروس، وما يتصل به لفظا ومفهوما وقضية في المتن المدروس"10 ، وذلك يعني:

- إحصاء المصطلح كيفما ورد شكلا وحجما واشتقاقا حيثما ورد وكيفما ورد وبأي معنى ورد في المتن المدروس، وهذا يعني إحصاءه إحصاء تاما و دقيقا من خلال الرجوع إلى مختلف المصادر التي احتوته مع مراعاة كل البنى اللفظية التي ورد عليها كالتعريف و التنكير و الإفراد و الجمع ...
- إحصاء التراكيب التي ورد بها مفهوم المصطلح أو بعضه دون لفظه إحصاء تاما كذلك.
- إحصاء التراكيب و السياقات التي ورد فيها معنى المصطلح دون لفظه، ونعني بذلك الدلالة الاصطلاحية المتعلقة بالمصطلح المدروس.
- إحصاء كل القضايا العلمية والمضامين المندرجة تحت مفهوم المصطلح حتى وإن لم يرد فيها، فإذا تمت هذه المرحلة بدقة أمكن الانتقال إلى الركن الثاني11 .

3.2ـ الدراسة المعجمية :

و يقصد بها: " دراسة معنى المصطلح في المعاجم اللغوية فالاصطلاحية دراسة تبتدئ من أقدمها مسجلة أهم ما فيه، و تنتهي بأحدثها مسجلة أهم ما أضاف، ودراسة تضع نصب عينيها على مدار المدة اللغوية للمصطلح، ومن أي المعاني اللغوية أخذ المصطلح و بأي الشروح شرح المصطلح، و ذلك لتمهيد الطريق إلى فقه المصطلح و تذوقه، و ليسهل تصحيح الأخطاء التي يكون قد جلبها الإحصاء"12.

وذكر في مرجع آخر:" أنها تحديد المعاني الكبرى للمصطلح الأهم في المعاجم تحديدا يحرص ما أمكن على تقديم الحسي من المعاني على العقلي، والوضعي على المجازي ،واللغوي على الاصطلاحي"13.

" و للدراسة المعجمية هنا وضع متميّز ناتج عن أسباب دافعة و غايات مقصودة، أمّا الأسباب فأوّلها أن المصطلح في حاجة إلى شرح و بيان معجمي، وثانيها أهمية معرفة الدلالة اللغوية للمصطلح قبل سيرورته إلى الاصطلاح الخاص، و في ذلك مؤشر إلى قوة اصطلاحيته أو ضعفها، أمّا الغايات فأدناها :

تصحيح الأخطاء التي قد ترتكب في مرحلة الإحصاء وأعلاها : بلوغ مرتبة من التذوق للمصطلحات توصل إلى فقه المصطلح"14، بحيث "تصبح للدراسة حاسة خاصة يشتم من خلالها رائحة الاصطلاحية مهما اختلطت باللغة العادية"15.

3.3ـ الدراسة النصية :

ويقصد بها تحليل المصطلح داخل النص، ودراسته من جميع امتداداته وارتباطاته وعلاقاته وخصائصه وجميع ما يحيط به، و"هذا الركن هو عمود منهج الدراسة المصطلحية ما قبله يمهّد له وما بعده يستمد منه، إذا أحسن فيه بوركت النتائج وزكت الثمار، وإذا أسيء فيه لم تفض الدراسة إلى شيء يذكر"16، أمّا مراحلها العملية فتتلخص في مرحلتين:

المرحلة الأولى : الفهم الصحيح للمصطلح داخل النص

المرحلة الثانية: الاستنباط الصحيح لكل ما ما يتعلق به، فيجب فهم المصطلح فهما دقيقا سليما، ثم استنباط ما تعلق به في كل نص ورد فيه استنباطا وافيا وسليما أيضا 17.

3.4ـ الدراسة المفهومية:

يُقصد بها:" دراسة النتائج التي فهمت واستخلصت من نصوص المصطلح وما يتصل به، وتصنيفها تصنيفا مفهوميا يجلّي خلاصة التصور المستفاد لمفهوم المصطلح المدروس في المتن المدروس"18، ولهذا فإن الدراسة المفهومية من أهم الأركان الأساسية في الدراسة المصطلحية لا تقوم إلّا بها، وهي بذاتها تقوم على:

أ/ التعريف : يمثل المدخل الأساس والرئيس في دراسة أي مصطلح، وبه نميزه عن غيره، فهو يبدأ أولا بالتعريف اللغوي ثم الانتقال إلى التعريف الاصطلاحي مع التركيز على التعريفات اللغوية المتقاربة مع الدلالات الاصطلاحية، فهو عبارة عن ذكر شيء تستلزم معرفته معرفة شيء آخر...، و يقصد بالتعريف اللفظي:" أن يكون اللفظ واضح الدلالة على معنى، فيفسر بلفظ أوضح دلالة على ذلك المعنى"19، ومن شروط تحديد تعريف أي مصطلح يجب :

- أن يتضمن كل العناصر والسمات الدلالية المكوّنة للمفهوم20.
- أن يكون وصفا كلاميا لفظيا لمفهوم ما.
- أن يكون جامعا لماهية الشيء المحدود.
- أن يزيل الإبهام و الغموض عن المصطلح المدروس ويضعه في قالبه اللفظي المناسب بالمعنى

المناسب له في علمه المناسب وبصفات و خصائص تميزه عن غيره.

ب/ الصفات : وهي تعني "الصفات التي يمكن أن تضيف للمصطلح الأصل مفاهيم ومدلولات جديدة، أو أحكاما تبين لنا درجة الاصطلاحية التي يحظى بها في مقابل مصطلحات أخرى حاملة لنفس المفهوم"21.

ج/ العلاقات : ونعني بها العلاقات التي تربط المصطلح بغيره، وهذا ما يسمى بالحقل الدلالي والمعجمي التي تصب في سياق واحد في نفس الشبكة المفهومية لهذا المصطلح .

د/ الضمائم : أي المصطلحات التي ضمت إليه فتزيده انفتاحا في دلالته .

هـ/ المشتقات : إذا كانت الضمائم تبيّن توجهات نمو المصطلح الداخلية، فإن المشتقات تبين توجهات نمو المصطلح الخارجية.

و/ القضايا : وهذه خاصة بملاحظات الباحث في دراسته للمصطلح المدروس كالتوصل إلى نتائج ومحاور وخصائص ومميزات ومظاهر وتوجهات هذا المصطلح، بل يجب تدوين كل قضية يلحظها الباحث تتعلق بهذا المصطلح من أجل الوصول إلى نتائج إيجابية عليه.

3.5ـ العرض المصطلحي:

ويقصد به:" الكيفية التي ينبغي أن تعرض وتحرر عليها خلاصة الدراسة المصطلحية للمصطلح ونتائجها وهو الركن الوحيد الذي يرى بعينه لا بأثره، وجماع القول فيه حسب ما انتهت إليه التجربة أن يكون متضمنا للعناصر الكبرى التالية على الترتيب : التعريف، الصفات، العلاقات، الضمائم، المشتقات، القضايا"22.

1-1-5 التعريف: سبق وأن عرفنا التعريف وفصلنا فيه بذكر شروطه، ويعتبره الشاهد البوشيخي هو اللب والنواة في هذه المرحلة23، وهو يتضمن أهم النتائج المتوصل إليها من خلال استقراء وإحصاء كل معطيات و دلالات هذا المصطلح في المعاجم اللغوية والاصطلاحية التي تصب في سياق هذا المصطلح:" فيكون التعريف بذلك جامعا لكل السمات الدلالية لمفهوم المصطلح يعرضها في أدق لفظ وأجمعه، ثم يُشرح كل عنصر فيه ويّمثّل له بما يدلل على صحته ،ويشهد له من أحوال لورود المصطلح وغيرها من المتعلقات ، و يمكن أيضا أن يكون عرض التعريف متوّجا لعرض عناصره و أجزائه – مع ما يدل عليها من أمثلة – في تدرج لجزء إلى الكل"24، و يتضمن التعريف :

- المعنى اللغوي للمصطلح المستمد من مختلف المعاجم اللغوية .
- المعنى الاصطلاحي القريب من المصطلح المدروس.

1-2-5 الصفات : وهي لحاف المصطلح وشغافه وهي :

- **الصفات المصنّفة:** وهي الخصائص التي تحدّد طبيعة وجود المصطلح في الجهاز المصطلحي موضوع الدراسة، كالوظيفة التي يؤديها الموقع الذي يحتله مثلا.
- **الصفات المبينة:** وهي الخصائص التي تحدد درجة الاتساع أو الضيق في محتوى المصطلح ،ومدة قوة أو ضعف اصطلاحيته وغير ذلك.
- **الصفات الحاكمة** : وهي الصفات التي تفيد حكما على المصطلح25 .

1-3-5 العلاقات : وفيها تدرس مختلف أشكال التداخل في المصطلح المدروس لا سيما في العلاقات الثلاث : الائتلاف أو الاختلاف أو التداخل والتكامل.

1-4-5 الضمائم: ونقصد بها: " كل مركب مصطلحي مكوّن من لفظ المصطلح المدروس، مضموما إلى غيره، أو مضموما إليه غيره، لتفيد الضميمة المركب في النهاية مفهوما جديدا خاصا مقيدا ضمن المفهوم العام المطلق للمصطلح المدروس، فكأن المصطلح بضمائمه ينمو و يتشعب مفهوميا من داخله"26، و"تتجلى أهمية دراسة هذه الضمائم في كونها تضيف إلى الرصيد المفهومي للمصطلح معاني جديدة و مختلفة باختلاف أشكال هذه الضمائم (فهناك ضمائم الإضافة و الوصف و الإسناد) وتمثل امتداداته المفهومية داخل ذاته، كما أنها في الوقت نفسه تشكل علما متميزا يرقى بالمصطلح إلى مستوى التعابير المسكوكة ذات الوضع الخاص في اللغة العادية"27.

1-6-5 المشتقات: وتتضمن كل لفظ اصطلاحي ينتمي لغويا ومفهوميا إلى المصطلح الجذر الذي ينتمي إليه المصطلح المدروس، و لقد قسمته د. فريدة زمرد في صورته العامة إلى ثلاثة أقسام:

أ- "**الاشتقاق اللغوي** : وفيه يشترك المشتق مع المشتق منه في اللغة لا المفهوم كالإنفاق مع النفاق، والتأويل والآلي مثلا، وهو لا يدخل في الدراسة لبعده عن المفهوم الأساس.

ب- **الاشتقاق المفهومي:** فهو يركز على المفهوم فقط كالفحشاء و المنكر مثلا، والشعر والقصيدة، وهو لا يدخل في الدراسة لأنه يبعدها عن مجال المصطلح المدروس.

ج- **الاشتقاق اللغوي المفهومي:** وهو الذي ينتمي إلى نفس الجذر اللغوي للمصطلح ونفس أسرته المفهومية كالحافظ والحفظ والحفاظ، وهذا النوع هو المقصود في الدراسة المفهومية"28.

1-7-5 القضايا: هذا باب واسع لا يمكن حصره، لأن قضايا المصطلح عديدة كمظاهره و أدواته وأنواعه ووظائفه ... وفي هذه المرحلة يمكن تدويـن كل النتائج المتوصـل والمستفاد منها في سياق هذا

المصطلح.

3ـ تعريف المصطلح القرآني:

ترى فريدة زمرد أنه: "إذا كان المصطلح عامة هو اللفظ الدال على مفهوم خاص في مجال معين فإنه بإضافته إلى القرآن يدل على اللفظ القرآني الذي يعبر عن مفهوم قرآني خاص ضمن التصور القرآني العام هذا على وجه الإجمال"29، أما تفصيل القول في ذلك :

فمن جهة اللفظ :"يطلق المصطلح القرآني على كل لفظ من ألفاظ القرآن الكريم مفردا كان أو مركبا، اكتسب داخل الاستعمال القرآني خصوصية دلالية جعلت منه تعبيرا عن مفهوم معين، له موضع خاص داخل الرؤية القرآنية و نسقها المفهومي"30، وتضيف فريدة زمرد ب:" أنه كل لفظ دل على مفهوم قرآني خاص لم يكن متداولا عند العرب قبل نزول القرآن الكريم"31.

ومن خلال هذين التعريفين يتضح لنا أن المصطلح القرآني هو كل لفظ جديد خاص مفردا كان أو مركبا يدل على مدلول معين بمقصد قرآني محدد ودقيق بألفاظ و معان لم تكن معروفة عند العرب قبل مجيء الإسلام.

ومن جهة المعنى فالمصطلح القرآني: " يمثل الذروة البيانية بالنسبة للموروث البلاغي البشري، فالقرآن وإن جاء وفق أساليب العرب وما عهدته في خطابها، ومسالكها في تقرير معانيها، فإنه قد جاء بأصح الألفاظ مضمنا أحسن المعاني في أروع وجوه النظم، وعلى ضوء ذلك فإن المفاهيم و المصطلحات الدلالية في القرآن لا تحمل طابع الوحشي و الغريب من الكلام، و إنما تحمل هذه القوالب المعاني الموافقة لمقتضى حال المخاطبين و إن خالفت أحيانا ظاهر الحال"32 .

أما من جهة التصور و المجال :" فإن المصطلح القرآني هو ما كان لفظه منتميا إلى نص القرآن الكريم المحدد بالفاتحة ابتداء و سورة الناس انتهاء، و ما كان مفهومه مستمدا من التصور القرآني، واشتراط هذين الشرطين يُخرج من دائرة المصطلح القرآني ما كان اللفظ فيه غير موجود في القرآن الكريم، و إن حمل دلالة قرآنية، أو ما كان اللفظ فيه موجودا في القرآن لكنه يخلو من تلك الدلالة الخاصة المميزة كالألفاظ التي استعملت في القرآن الكريم استعمالا لغويا محضا"33.

و لقد اصطلح بعض العلماء الأوائل على لفظ المصطلح القرآني بالمصطلح الشرعي أو المصطلح الإسلامي أو حتى الديني في مثل ما نجده في :

في كتاب مفاتيح العلوم لأبي عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي ت(387هـ) درس فيه مصطلحات الشريعة من عقيدة و فقه وعلم الكلام و فلسفة ..

وكتاب التعريفات للجرجاني علي بن محمد بن علي ت(816هـ) ودرس فيه مصطلحات كالشرع و العقيدة و الطب و الفلسفة و علم الكلام ..

كتاب الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ت(1094هـ) ذكر فيه مصطلحات العلوم الشرعية و الطب وعلوم اللغة ..

وكتاب كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد علي بن علي بن محمد التهانوي ت(1158) و الذي زخر بالمصطلحات العقدية و الشرعية و الفقهية و الفلسفية و المنطق و الطب ..

وكتاب مصطلحات جامع العلوم للأحمد نكري ت بعد (1158هـ) الذي درس فيه مصطلحات الشريعة و الطب و الفلسفة ..

ويعتبر كتاب مفردات القرآن للراغب الأصفهاني نموذجا رائدا في هذا المجال، مع مفردات القرآن للفراهيدي أيضا.

كما أن معاجم اللغة العربية قد عرجت على كثير من المصطلحات الشرعية والإسلامية من حيث دلالتها وطرق تداولها .. كلسان العرب لابن منظور والصحاح للجوهري وغيرها..

والذي نراه من خلال بحثنا أن تسميته بالمصطلح القرآني أدق وأفضل لأن اللفظ القرآني أصدق تعبيرا وأدق مما كان موجودا، وهذا يتوافق مع كونه كلاما ربانيا بيانيا محكم السبك معجز الأسلوب، ذا مدلولات عميقة وسياقات مضبوطة متناسقة بقواعد محددة بعيدة عن كل الألفاظ في أي علم من العلوم بحكم بشريتها.

4 ـ مفهوم الطاعة في القرآن الكريم:

4ـ1 الدراسة المعجمية لمصطلح الطاعة في المعاجم اللغوية:

تعريفها لغة: الطاعة اسم لـ: طَاعَ و أَطَاعَ، قال ابن منظور:" والطاعة اسم من أطاعه طاعةً، والطّواعية اسم لما يكون مصدرا لطاوعه...، قال ابن السكيت: يقال طاعَ له وأطاعَ سواء، فمن قال طاع يقال يطاع، ومن قال أطاع قال يُطيعُ34، و عندما نتتبع الكثير من المعاجم اللغوية فإننا نجد أن معانيها تكاد تحصر في المعاني الآتية:

أ - **تأتي بمعنى ضد الكره**: وفي هذا يقول ابن منظور" طوع: الطّوع: نقيض الكره، طاعه يطُوعه وطاوعه، والاسم الطّواعة والطّواعية...، وجاء فلان طائعاً غير مُكره"35.

ب -**تأتي بمعنى الاصحاب واللين والانقياد**: قال ابن فارس:" الطاء والواو والعين أصل صحيح واحد يدلُّ على الاصحاب والانقياد، يقال: طاعَه يطُوعُه، إذا انقاد معه معه ومضى لأمره، وأطاع له بمعنى طاع له"36، و قال ابن سيده: وطَاع يُطاعُ وأطاع لان وانقاد، وفي التهذيب: وقد طاع له يُطُوع إذا انقاد له"37.

ت- **تأتي بمعنى الموافقة والمضي في الأمر**: قال الخليل:" إذا مضى في أمرك فقد أطاعك، وإذا وافقك فقد طاوعك"، وقال ابن فارس:" ويقال لمن طاوع وافَقَ غيره: قد طاوعه"38، وقال ابن منظور:" والمُطاوعة: الموافقة"39.

ث- **تأتي بمعنى الاِئتمار والارتِسام**: قال الراغب:" لكن أكثر ما تقال في الائتمار لما أُمِرَ، والارتسام لما رُسِمَ"40.

ومن خلال تتبعنا للكثير من المعاجم اللغوية نلاحظ أن الطاعة تأتي فيها بالأغلب بالمعاني التالية: أنها ضد الكره، وبمعنى الاصحاب واللين والانقياد، وبمعنى المضي في الأمر، وبمعنى الموافقة، وبمعنى الائتمار والارتسام.

وفي **الاصطلاح**: كثيرة هي التعريفات التي اجتهد العلماء في تحديد مفهومها، فقال الجرجاني في معجم التعريفات عنها بأنها:" موافقة الأمر طوعاً، وهي تجوز لغير الله عندنا، وعند المعتزلة هي موافقة الإرادة"41.

وقال الكفوي في الكليات:" والطاعة هي الموافقة للأمر أعم من العبادة، لأن العبادة غلب استعمالها في تعظيم الله غاية التعظيم، والطاعة تستعمل لموافقة أمر الله وأمر غيره...،والطّاعة فعل المأمورات ولو ندبا، وترك المنهيّات ولو كراهة، فقضاء الدّين والإنفاق على الزّوجة والمحارم ونحو ذلك طاعة لله وليس بعبادة"42.

وأكثر التعريفات جاءت لتخصها بأنها الموافقة للأمر، واستعملت لموافقة الله في إتباع أوامره واجتناب نواهيه.

2 -4 -**إحصاء مشتقات لفظ الطاعة في القرآن الكريم**: حسب ما توصل إليه بحثنا فإن مصطلح الطاعة ومشتقاته ما يقارب تسعة وستون مرّة، و في الجدول الآتي تفصيلها:

مشتقات مصطلح الطاعة	تكرار المشتقات	السياق القرآني : الآية بالسورة و الرقم	بيان المكي والمدني	المجموع الكلي
أطاع	15مرة	1-(مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ)النساء:80	مدنية	69مرّة
		2-(ٱلَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا)آل عمران:168	مدنية	
		3-(فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ)الزخرف:54	مكية	
		4-(وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا)البقرة:285	مدنية	
		5-(فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا)النساء:34	مدنية	
		6-(وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ)النساء:46	مدنية	
		7-(إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا)المائدة:7	مدنية	
		8-(وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)الأنعام:121	مدنية	
		9-(وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ)المؤمنون:34	مكية	
		10-(وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا)النور:47	مدنية	
		11-(أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ)النور:51	مدنية	
		12-(وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ)الأحزاب:33	مدنية	
		13-(يَٰلَيْتَنَا أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا)الأحزاب:66	مدنية	
		14-(وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا	مدنية	

أطيعوا	19مرة	فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا)الأحزاب:67 15-(قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ) آل عمران:32. 16-(وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) آل عمران:132. 17-(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ..)النساء:59 18-(وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ..) المائدة:92 19-(وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)الأنفال:1 20-(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ)الأنفال:20. 21-(وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ)الأنفال:46. 22-(وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓا أَمْرِي)طه:90. 23-(قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ..)النور :54. 24-(وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)النور :56. 25-(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا أَعْمَٰلَكُمْ)محمد:33 26-(وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ)المجادلة:33	مدنية مدنية مدنية مدنية مدنية مدنية مكية مدنية مدنية مدنية	

		27-(وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ)التغابن:12	مدنية	
		28-(وَٱسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ..)التغابن:16.	مدنية	
		29-(فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ)آل عمران:50	مدنية	
		30-(فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ)الشعراء:108		
		31-(فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ)الشعراء:110	مدنية	
أطيعون	11مرة	32-(فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ)الشعراء:126	مكية	
		33-(فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ)الشعراء:131	مكية	
		34-(فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ)الشعراء:144	مكية	
		35-(فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ)الشعراء:150	مكية	
		36-(فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ)الشعراء:163	مكية	
		37-(فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ)الشعراء:179	مكية	
		38-(فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ)الزخرف:63	مكية	
		40-(وَٱتَّقُوهُ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ)نوح:3	مكية	
		41-(وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ)الأنعام:116	مكية	
		42-(وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا)الكهف:28	مدنية	
تطع	11مرة	43-(فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا)الفرقان:52	مكية	
		44-(وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا)العنكبوت:8	مكية	
		45-(وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا)لقمان:15	مكية	
		46-(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ..)الأحزاب:1	مكية	

		47-(وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ..)الأحزاب:48	مدنية	
		48-(فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ)القلم:8	مدنية	
		49-(وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ)القلم:10	مكية	
		50-(وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا)الإنسان:24	مكية	
		51-(كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب)العلق:19	مدنية	
		52-(وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ)التوبة:71	مكية	
		53-(لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ)الحجرات:7	مدنية	
يطيعون	مرتان	54-(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ)النساء:64	مدنية	
يطاع	مرتان	55-(مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ)غافر:18	مدنية	
		56-(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ)آل عمران:100	مكية	
تطيعوا	5مرات	57-(أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ)آل عمران:149.	مدنية	
		58-(وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ)الشعراء:151	مدنية	
		59-(فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا	مكية	

		حَسَنًا)الفتح:16		
		60-(وَإِن تُطِيعُوا ٱللَّهَ		
		وَرَسُولَهُ)الحجرات:14	مدنية	
		61-(سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ)محمد:26		
		62-(طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ)محمد:21	مدنية	
		63-(ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا		
		طَائِعِينَ)فصلت:11	مدنية	
نطيع	مرة	65-(مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ)التكوير:21		
طاعة			مدنية	
	مرة			
طوعا	مرة		مكية	
مطاع	مرة			

والملاحظات التي يمكن أن نستخلصها هي:

– الصيغ التي ورد فيها في القرآن الكريم كالتالي: صيغة الفعل الماضي وردت خمسة عشر مرة مثل قوله تعالى:" مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ" (النساء:80)، الفعل المضارع واحد وعشرون مرة مثل قوله تعالى:" وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا" (الكهف:28)، فعل الأمر وردت ثلاثون مرّة كقوله تعالى:" قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ" (آل عمران:32)، بصيغة المصدر وردت مرة واحدة في قوله تعالى:" طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ" (محمد:21)، وكذلك بصيغة اسم الفاعل مرة واحدة في قوله تعالى:" ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ" (فصلت:11)، وبصيغة اسم المفعول كذلك مرة واحدة في قوله تعالى:" مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ" (التكوير:21)، والذي ننوه عليه هو أننا الذي نركز عليه هو بعض مواضعه نظرا لكثرة حجم وروده لنستخلص منه أهم خصائصه ضمن بعض سياقاته لنستطيع أن نؤصل له تأصيلا صحيحا.

– أكثر المواضع التي ذكر فيها مصطلح الطاعة في السور المدنية (38 مرة) في مقابل (31 مكي).

– تنوع الأساليب التي ورد بها هذا المصطلح، فتارة نجده بين أمر ونهي، وتارة بين ترغيب وترهيب.

– تنوع المقامات التي ذكر فيها مصطلح الطاعة وكل يفهم حسب سياقه، نذكر منها: مقام الترغيب في طاعة الله ورسوله، أو الإقرار بالجزاء والثواب لهذه الطاعة، أو النهي عن الطاعات المذمومة وغيرها...

– يطغى مصطلح الطاعة بأسلوب الأمر على المشتقات الأخرى وبنسبة تقارب 70 في المئة، مثل : أطيعوا، أطيعون، أطعن...

– من خلال هذا الإحصاء وتتبع موارد مصطلح الطاعة ستتوفر لدينا مجموعة من العلاقات والضمائم ومفهومه داخل النص القرآني، وهذا الذي يسهل علينا دراسته في الخطوات التالية.

3 -4 **الدراسة النصية لمصطلح الطاعة في القرآن الكريم**:

عندما نتتبع الكثير من مواضع الطاعة داخل سياقاتها ضمن النص القرآني فإننا نجدها تنفتح دلاليا إلى عدّة مفاهيم هي:

1-**العبادة**: فالعبادة والتذلل لله في كل القرآن الكريم تأتي بمعنى الطاعة والانقياد له سبحانه43.

2-**الإسلام**: والطاعة كذلك تأتي بمعنى الخضوع والإذعان اللذان يدلان على معنى الإسلام44.

3-**القنـوت**: فالقنوت يأتي بمعنى الطاعة45.

4 -**الديـن**: الدين من معانيه في القرآن الكريم الطاعة 46

5 -**الإخبـات**: قال تعالى:"وبشر المخبتين" (الحج: 34) ، قال الإمام الطبري في تفسيرها:" وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة المذعنين له بالعبودية المنيبين إليه بالتوبة"47 .

6-**الامتثال**: فطاعة الله عزوجل هي امتثال أوامره واجتناب نواهيه48 .

4-4- **علاقات مصطلح الطاعة في القرآن الكريم**: نظرا لوجود العديد من العلاقات التي ترتبط مع مصطلح الطاعة، فإننا نكتفي في هذا المقام بذكر علاقة واحدة، وهي علاقته مع مصطلح التقوى.

أ – **تعريف التقوى لغة**: التقوى أصلها من الفعل (وقى): " الواو والقاف والياء كلمة واحدة تدلَ على دفع شيء عن شيء بغيره، ووقيته أقيه وقيا، والوقاية: ما يقي الشيء، واتَّق الله: توقَّه، أي اجعل بينك وبينه كالوقاية"49، و" الوقاية حفظ الشيء ممّا يؤديه ويضرُّه، يقال: وقيت الشيء أقيه وقاية ووقاء...، والتقوى: جعل النفس في وقاية مما يُخاف"50 .

ب -**وفي الاصطلاح:** للتقوى كثير من التعريفات ومن أحسن التعريفات ما قال به التابعي طلق بن حبيب العنزي:" التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله"51..، "وصار التقوى في تعارف الشرع حِفظ النفس عمَّا يؤثم، وذلك بترك المحظور "52

تـ بيان علاقة الطاعة بالتقوى:

في القرآن الكريم نجد دائما أن الطاعة معطوفة على التقوى، وإذا تتبعنا هذه السياقات فإننا نجدها في آيات قصص الأنبياء ودعوة أقوامهم لتوحيد الله سبحانه والإيمان به ومن تمّ تقواه وطاعته، وجاء الأمر بتقوى الله وطاعة رسله (نوح، هود، لوط، شعيب، عيسى عليهم الصلاة والسلام).

ومن بين أقوال المفسرين في هذا الموضع، قوله تعالى:" إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ" (الشعراء: 142-143-144)، قال الإمام الطبري في تفسيرها:"(فَاتَّقُوا

اللَّهَ) أيها القوم، واحذروا عقابه(وَ أَطِيعُونِ) في تحذيري إياكم، وأمر ربكم باتباع طاعته."[53]

و مثال آخر في قوله تعالى:" إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله و أطيعون" (الشعراء: 106-107)، قال أبو حيان في تفسيرها:" انتقل من العرض إلى الأمر فقال: اتقوا الله وأطيعوني في نُصحي لكم وفيما دعوتكم إليه من توحيد الله وإفراده بالعبادة... وقدَّم الأمر بتقوى الله على الأمر بطاعته، لأن تقوى الله سبب لطاعة نوح عليه السلام، ثم كرَّر الأمر بالتقوى والطاعة ليؤكد عليهم ويقرر ذلك في نفوسهم وإن اختلف التعليل، إذ جعل الأمر الأول معلولاً لأمانته، والثاني لانتفاء أخذ الأجر عن دعوته"54، وغالبا ما نجد نفس التفسيرات يؤكدها المفسرون لباقي الرسل عليهم الصلاة والسلام، ويستنتج أن:" طاعة الرسل فرع من تقوى الله وطاعته، وتكرار الأمر بالتقوى والطاعة لأجل التأكيد، وتعليل أمر كل واحد بما يناسب المقام"55.

وفي قوله تعالى:" فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " (التغابن: 16)، هنا علاقة تعاطف السمع والطاعة والإنفاق على التقوى ف" السمع والطاعة أعمال تعبدية من مقتضيات التقوى وتجلياتها وما دام العطف يقتضي التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه فإن التقوى تنصرف لعمل القلب، والسمع والطاعة والإنفاق تنصرف لأعمال الجوارح"56.

وفي سياق واحد عطفت التقوى على الطاعة في قوله تعالى:" وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ" (النور:52)، قال ابن كثير في تفسيرها:" (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فيما أمره ونهاه، ويسلم لحكمهما له وعليه، ويخف عاقبة معصية الله ويحذره، ويتق عذاب الله بطاعته إياه في أمره ونهيه) فأولئك (يقول: فالذين يفعلون ذلك) هُمُ الْفَائِزُونَ (برضا الله عنهم يَوم القيامة، وأمنهم من عذابه"57.

وبهذا يظهر لنا الفرق بين التقوى والطاعة في :" أن الطاعة والتقوى يشتركان في معنى الامتثال والاجتناب، كما أن التقوى غاية الطاعة، لأنها تجمع عمل القلب والجوارح، فتضبط السلوك الطوعي الانقيادي، وتحرره من سلطان الأهواء والطواغيت، وإذا كان مفهوم الطاعة ينحو نحو الامتثال (الطوع) والائتمار والانقياد، فإن مفهوم التقوى ينحو نحو الإحجام والحذر، لأنها من الوقاية، والطاعة ترتقي بالسلوك الطوعي نحو التقوى الكاملة إذا ارتكز هذا السلوك على الإيمان ومجاهدة النفس والهوى"58.

4.5 ضمائم مصطلح الطاعة:

أغلب ما جاء مصطلح الطاعة، جاء مضموما إلى لفظ الجلالة" الله" و إلى لفظ "الرسول، في مثل قوله تعالى :" مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا"(النساء:80)، قال السعدي في تفسيرها:" أي: كل مَنْ أطاع رسول الله في أوامره ونواهيه فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ تعالى لكونه لا يأمر ولا ينهى إلا بأمر الله وشرعه ووحيه وتنزيله، وفي هذا عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الله أمر بطاعته

مطلقا، فلولا أنه معصوم في كل ما يُبَلّغ عن الله لم يأمر بطاعته مطلقا، ويمدح على ذلك، وهذا من الحقوق المشتركة فإن الحقوق ثلاثة: حق لله تعالى لا يكون لأحد من الخلق، وهو عبادة الله والرغبة إليه، وتوابع ذلك. وقسم مختص بالرسول، وهو التعزير والتوقير والنصرة، وقسم مشترك، وهو الإيمان بالله ورسوله ومحبتهما وطاعتهما، كما جمع الله بين هذه الحقوق في قوله:(تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) فمَنْ أطاع الرسول فقد أطاع الله، وله من الثواب والخير ما رتب على طاعة الله "59، وتشابهت تقريبا أقوال المفسرين فيما ذهب إليه الإمام السعدي، والذي أفادته الضميمتان (لفظ الجلالة الله، والرسول):

- طاعة الله سبحانه وتعالى هي الطريق المستقيم الذي يصل به المؤمن إلى خيري الدنيا والآخرة، وطاعة رسوله كذلك.
- اتباع وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأعمال والأخلاق، يعني الدخول في دائرة طاعة الله.
- لقد ربط القرآن الكريم الطاعة بالله سبحانه وتعالى وبالرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المواضع بل وفي مواضع كثيرة، دفعاً لتأويلات المنافقين وشبهاتهم.
- عندما نلاحظ ضم الطاعة للرسول عليه الصلاة والسلام يتضح لنا مقام السنة الشريفة بالنسبة للكتاب.
- في قرن الطاعة بالرسول عليه الصلاة والسلام دلالة على عصمة النبي من الخطأ وإلا ما أمر الله بطاعة نبيه عليه الصلاة والسلام.
- طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام ولو حتى في أصغر أمر هي تدريب للأمة الإسلامية في اتخاذ القدوة والقائد والولي، ودلالة على الوحدة ونبذ التفرق والاختلاف، ولابد أن يكون لكل مجموعة قائدا ووليا يُتّبع طالما أنه مستقيم على أمر الله تعالى.

4.6. **قضايا وملاحظات على مصطلح الطاعة**: هناك عدة قضايا ترتبط بمصطلح الطاعة مثل تداخله مع مصطلح الإتباع، والبر، والاستجابة، وسنركز على قضية مهمة وهي تداخله مع مصطلح العبادة، وسنشير إلى الفرق بينهما باختصار:

قال الكفوي:" والطاعة هي الموافقة للأمر أعم من العبادة، لأن العبادة غلب استعمالها في تعظيم الله غاية التعظيم، والطاعة تستعمل لموافقة أمر الله وأمر غيره، والعبادة تعظيم يقصد به النفع بعد الموت"60.

وقال العسكري في كتابه الفروق في اللغة:" الفرق بين العبادة والطاعة: أنَّ العبادة غاية الخضوع، ولا تستحق إلا بغاية الإنعام، ولهذا لا يجوز أن يُعبد غيرُ الله تعالى، ولا تكون العبادة إلا مع المعرفة

بالمعبود. والطاعة: الفعلُ الواقعُ على حسب ما أراده المريدُ، متى كان المريد على رتبةً ممن يفعل ذلك، وتكون للخالق والمخلوق، والعبادة لا تكون إلا للخالق. والطاعة – في مجاز اللغة – تكون اتِّباع المدعوِّ الداعي إلى ما دعاه إليه، وإن لم يقصد التَّبَعَ، كالإنسان يكون مطيعًا للشيطان، وإن لم يقصد أن يطيعه، ولكنه اتَّبع دعاءَه وإرادته"61.

5ـ خاتمة:

من خلال البحث توصلنا إلى النتائج التالية:

- الدراسة المصطلحية هي: بحث ومنهجية خاصة تغوص في أعماق المصطلح لمعرفة مكوناته الداخلية، وما يحيط به من مفاهيم وعلاقات و ضمائم..
- الدراسة المصطلحية علم قائم بذاته لا ينطوي تحت أي علم، تتقاطع مع العلوم الأخرى كعلم الدلالة والمعجمية..
- عند تطبيق منهج الدراسة المصطلحية فإنه يتوفر لدينا : إحصاء هذا المصطلح، ويتوفر لدينا الكثير من القضايا و الضمائم والصفات والتي تعرفنا وتوصلنا إلى الفهم الصحيح لهذا المصطلح.
- المصطلح القرآني هو كل ما أطلقه الله سبحانه وتعالى على معان مخصوصة كمصطلح التدبر و أهل الكتاب و الظلم و السعادة ..
- الطاعة لغة جاءت بمعنى: الإصحاب واللين والانقياد، وبمعنى المضي في الأمر، وبمعنى الموافقة، وبمعنى الائتمار والارتسام.
- وفي الاصطلاح: تلتقي مع اللغة في الموافقة فيما أمر به الله سبحانه ورسوله عليه الصلاة والسلام.
- جاءت الطاعة في الاستعمال القرآني بمعني الانقياد، لكن أكثر ما يقال في الائتمار فيما أمر.
- لكل لفظ العديد من المشتقات، والقرآن الكريم أوسع دلالة في معاني ألفاظه من المعاجم اللغوية.
- أن مصطلح الطاعة قد ورد على سبيل الترادف و التوارد، وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل.
- مصطلح الطاعة بنى معه تصورات مفهومية عديدة، وهذا ما اكتشفناه من خلال التعمق المصطلحي والذي وجدنا من خلاله أن هذا المصطلح عكس معه مصطلحات متعددة تبني معه شبكة مفهومية واسعة.
- لكل لفظ دلالة محددة تختلف عن دلالة مشتقاتها و تحدَّد حسب سياقها القرآني.
- نزول المصطلحات القرآنية ضمن سياقاتها يسمح بفهم ماهية المصطلح من خلال فهم علاقته بمصطلحات مجاورة تنتمي إلى نفس المجال الدلالي.

- أن القرآن الكريم هو أصل المعاجم اللغوية في تحديدها لأي مصطلح، إذ لا يمكن تطبيق النتائج التي توصلت إليها المعاجم اللغوية في تحديدها لأي مصطلح، و لا يمكن تطبيقها على المصطلح القرآني، لأن المصطلحات خارج السياق القرآني تحكمها قوانين و متغيرات خاصة لا يمكن أن تخضع لها المصطلحات داخل السياق القرآني
- التعرف على المصطلح القرآني و فهمه فهما صحيحا، سوف يؤدي ذلك إلى الفهم الصحيح و السليم للسياق القرآني.
- أن دلالات المصطلحات القرآنية تعرف بتتبع مواردها في النصوص القرآنية.
- المعرفة القرآنية لا تتحصل إلاّ بتحصيل مصطلحاتها التي تختزل داخلها المفاهيم.
- مصطلح الطاعة هو مصطلح قرآني يُكتشف ولا يعطى: بالقراءة و التتبع والاستقراء والوصف والتحليل... يطلب من قارئه أن يتفاعل معه، و هو باب من أبواب القرآن الكريم و مدخل من مداخله.
- المصطلح القرآني يكون واحد، و لكن مفهومه متعدد على حسب سياقه الذي يرد فيه، فقد تتعدد المصطلحات القرآنية ولكن مفهومها واحد.

الحواشي والإحالات:

[1] البوشيخي الشاهد ، نظرات في المصطلح و المنهج، مطبعة آنفو، فاس/المغرب، 2004م، ط2، ص22.
[2] زمرد فريدة، مفهوم التأويل في القرآن الكريم دراسة مصطلحية ، مركز الدراسات القرآنية/الرابطة المحمدية للعلماء، 1435هـ ،ط1، ص40.
[3] الأنصاري فريد، المصطلح الأصولي عند الشاطبي، معهد الدراسات المصطلحية والمعهد العالي للفكر الإسلامي، ط1، 1424هـ، ص56.
[4] ينظر : زمرد فريدة، مجلة الدراسات المصطلحية ،العدد الحادي عشر والثاني عشر،1433 هـ/1434هـ، ص 53/52.
[5] زمرد فريدة، مجلة الدراسات المصطلحية ، ص 53.
[6] المسدي عبد السلام ، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، (د ت ط)، (دط)، ص22.
[7] الأنصاري فريد ، مرجع سابق، ص61.
[8] نفسه، ص59.
[9] نفسه، ص59.
[10] بوشيخي الشاهد، مرجع سابق، ص22.
[11] ينظر: نفس المرجع، ص23.
[12] نفسه، ص 24/23.
[13] الشاهد البوشيخي : مصطلحات نقدية و بلاغية في كتاب البيان و التبيين للجاحظ ، دار القلم، الكويت، ط2، 1995م، ص18.
[14] بوشيخي الشاهد، نظرات في منهج الدراسة المصطلحية، ص 08.
[15] زمرد فريدة، مفهوم التأويل في القرآن الكريم، ص46.
[16] ينظر : بوشيخي الشاهد، نظرات في المصطلح و المنهج، ص 24.
[17] ينظر: بوشيخي الشاهد، نظرات في المصطلح و المنهج، ص 24.
[18] نفسه، ص25.
[19] الجرجاني الشريف ،معجم التعريفات، تح:محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، 1357هـ، ط 1، ص56.
[20] ينظر: الشاهد بوشيخي، نظرات في المصطلح و المنهج ص25.
[21] ملتقى المصطلح و المصطلحية، جامعة تيزي وزو(كلية الآداب واللغات)، ج2، 2-3 ديسمبر،نجوى مغاوي، الدراسة المصطلحية(مناهجها وخطواتها) دراسة المصطلحات القرآنية نموذجا، ص 634.
[22] ينظر: البوشيخي الشاهد ، نظرات في المصطلح و المنهج، ص26.
[23] ينظر: نفس المرجع، ص27.

[24]زمرد فريدة ، مفهوم التأويل في القرآن الكريم، ص53.
[25]ينظر: الشاهد البوشيخي، نظرات في المصطلح والمنهج، ص 28/27.
[26]نفسه، ص 29.
[27]زمرد فريدة، مفهوم التأويل في القرآن الكريم، ص54.
[28]زمرد فريدة ، العدد الخامس ، ،مجلة دراسات مصطلحية (الدراسة المفهومية)، 1426هـ، ص57.
[29]زمرد فريدة ، مفهوم التأويل في القرآن الكريم ، ص61.
[30]البوشيخي الشاهد، دراسة مصطلحية ، مكتبة ناشرون، لبنان ، تط: ، 2008ط1 ،ص 108.
[31]زمرد فريدة ،المؤتمر الدولي الأول حول القرآن الكريم و علومه ،دار الحسنية، الرباط المغرب، (دط) ،ص551.
[32]محمد جهاد فيصل النصيرات، العدد 1، ،مجلة دراسات ،علوم الشريعة و القانون، مقال التفسير الموضوعي ، (تط): 2013، المجلد 40، ص 164.
[33]زمرد فريدة ، مفهوم التأويل في القرآن الكريم دراسة ، ص62.
[34]ابن منظور، لسان العرب، دار صادر/بيروت، (دت ط)، ط1، م8، مادة طوع، ص 241، وينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ، كتاب العين،تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية/ لبنان، 1424هـ، ط1، ج3، مادة طوع، ص65.
[35]ابن منظور، مرجع سابق ، ج 8 مادة طوع، ص 240 .
[36]ابن فارس، ، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ، (دط)، ج3، مادة طوع، ص 431.
[37]ابن منظور، م8، مرجع سابق ، مادة طوع، ص240 ، وينظر: الراغب الأصفهاني، ، المفردات في غريب القرآن، تح: مركو الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د ت ط) ، د ط، ج2، مادة طوع، ص 404.
[38] ابن فارس، مرجع سابق، ج3، مادة طوع، ص 431.
[39]ابن منظور، مرجع سابق ، م8، مادة طوع، ص 241.
[40]الأصفهاني الراغب ، مرجع سابق ، ج2، مادة طوع، ص 404.
[41]الجرجاني الشريف ، مرجع سابق، ص118.
[42]الكفوي أبو البقاء ، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت/لبنان،1419 هـ، ط2، ص 583.
[43]القرطبي عبد الله ، الجامع لأحكام القرآن، إع: هشام سمير البخاري، دار علم الكتب، الرياض، (د ت ط)، ط2، ج1، ص 145.
[44]الألوسي محمود، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت/لبنان، (د ت ط)، (د ط)، ج1، ص 396.
[45]القرطبي ، مرجع سابق ، ج2، ص 86.
[46]الطبري أبو جعفر، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عواد يوسف وفارس الحرستاني، 1415هـ، ط1، ج2، ص232.
[47]المرجع نفسه، ج5، ص317.
[48]المرجع نفسه، ج5، ص 259.
[49]ابن فارس، مرجع سابق، ج3، مادة طوع، ص 131.
[50]الأصفهاني الراغب ، مرجع سابق ، ج2، مادة طوع، ص 688.
[51]البوزي محمد، مفهوم التقوى في القرآن والحديث دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، مؤسسة دار السلام، فاس/المغرب، 2010، ط1، ص107.
[52]الأصفهاني الراغب ، مرجع سابق، ج2، مادة وقى، ص 688.
[53]الطبري، مرجع سابق ، م5، ص524.
[54]الأندلسي أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت/لبنان، دط، 2010م، ج8، ص 175.
[55]البوزي، مرجع سابق ، ص194.
[56]نفسه، ص194.
[57]ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، أش: سعد الصميل، دار ابن الجوزي، (دت ط)، (دط)، ج5، ص559.
[58]محمد البوزي، مرجع سابق ، ص195-196..
[59]السعدي عبد الرحمان، تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، (دتط)، (دط)، م2، ص328.
[60]الكفوي، مرجع سابق ، ص 583.
[61]العسكري أبو هلال، الفروق في اللغة، تح: جمال مدغمش، مؤسسة الرسالة، 2002م،ط1، ص389.